(1973 _ 1936) §•Bt•y áBao
b D¦{A ~RZ §s LX{¥ ©Z¥M

غسان كنفاني, واحد من الاف الاطفال الذين شردوا وعانوا ذل اللجوء والعوز اثر نكبة عام ١٩٤٨ , وهو واحد من الاف الفتيان الذين حملوا هم مسوؤلية عوائلهم وهم بعد في عمر الطفولة الغضة, كما انه يمثل الاف الشبان الذين حملوا القضية القلسطينية حرزا ثمينا في قلوبهم ولم يبخلوا في سبيلها حتى بدمائهم , ونحن عندما نروي سيرة غسان انما نروي سيرة ومعاناة جيل باكمله , إلا ان غسان يتميز عن غيره بكونه مبدعا نذر نفسه وفنه في سبيل قضيته .

ولد غسان كنفاني في التاسع من نيسان عام ١٩٣٦ وقد حفلت سنة ولادته باجواء سياسية مضطربة . ففي تلك السنة اندلعت الثورة في الريف ضد الانكليز, وبعد ولادته بعشرة ايام اعلنت فلسطين الاضراب لمدة ستة اشهر . ولعل للبيئة القلقة التي احتضنت الكاتب اليد الطولى في سبغ ادبه , في مجمله, بطابع قلق.

والده محام ينتمي الى الطبقة البرجوازية الصغيرة يدعى محمد فايز كنفاني , اب لستة اطفال كان غسان ثالثهم . اما والدته فيؤكد الكاتب انها كانت امراة ذكية بالفطرة مثالية في استقامتها وقد كان لها اثر كبيرفي تنشئة الطفل على كثير من المزايا الحميدة . تلقى علومه الاولى في مدرسة الفرير في يافا وهي مدرسة كاثوليكية تعتمد اللغة الفرنسية لغة اساسية في برنامجها وهذا ما يفسر ارتباك لغته العربية في بواكير اعماله الادبية التي كانت تشبه في اسلوبها القصص المترجمة

في اليوم الذي اتم فيه غسان عامه الثاني عشر (٩ نيسان ١٩٤٨) غادرت عائلته عكا على امل العودة بعد اسابيع قليلة "عندما يسوي جيش الانقاذ الامر مع اليهود" . لذلك لم يبتعد الوالد بعائلته كثيرا عن الحدود لكي يكون اول العائدين الى عكا, وقد وصف الكاتب هذه الرحلة الحزينة وتاثيرها على نفسيته في قصة قصيرة اطلق عيلها عنوان "ارض البرتقال الحزين ". وفيها مازج الكاتب بين الحقيقة الفنية والحقيقة التاريخية . فقد جاء في مذكرات غسان : . . . ولدي ايها المستقبل ! ! . . . لقد سمعتك من الغرفة المجاورة تسال امك هل انا فلسطيني , وعندما اجابتك بنعم عم الصمت جميع ارجاء المنزل , فكأن شيئا ما سقط فوق روؤسنا , فعلت ضجة ثم . . . عمّ هدوء . . . بعدها لم استطع تصديق سمعي ولكنني صدقت أناملي . لقد كنت اقرا عندما لاحظت ان يدي ترتجف . . . وبينما انا جالس في الغرفة المجاورة اسمعك تولد من جديد ومن خلال تنهداتك اتذكر ولادتي المشابهة : لقد كنت في الثانية عشرة من عمري عندما حملتنا السيارة الى الهروب المخزي . كنت غارقا في طفولتي البريئة ولكنني غرقت يومها في مشهد لن انساه ابدا . لقد توقفت الشاحنات , فتسللت , مساقا بفضول الطفولة ام قدر الانسان لست ادري , الى حيث كان الرجال يقفون , ورأيتهم يسلمون أسلحتهم الى مركز الحدود لكي يدخلوا عالم اللجوء بايد فارغة

لقد رجعت مهزوما اشعر شعورا لا استطيع تفسيره , وكانت امي تجلس بين النساء فاقتربت وكانها الملجأ. فسالتني : ما الامر ؟ . . . قلت, انهم يسلمون سلاحم. . . وبنفس الطريقة التي اجابتك امك نعم, كذلك فعلت امي . وكانت هوة من الصمت كأن شيئا ما وقع . وعند بريق عينيها وجدتني ابكي . يومها ولدت من جديد وبدات انظر الى الرجال بطريقة تختلف عن ذي قبل وكذلك فعلت امي بنظرتها الى .

لا تصدق(الكلام موجه الى ابنه) ان الانسان ينمو . كلا : إنه يولد فجاة . كلمة ما , في لحظة تخرق قلبه الى رحم جديد , ومشهد واحد يمكن ان يطيح به من عالم الطفولة الى شقاوة الحياة .

ويلاحظ قارئ الاقصوصة المذكورة اعلاه أنها تعبير حيّ عن هذه المشاعر ولو بغلاف فني

عندما تركت عائلة الكاتب فلسطين لم تكن تملك المال الكافي لسد نفقاتها لانها كانت قد انفقت

مدخراتها في بناء بيت في عكا واخر في يافا , لذلك واجهت صعوبات اقتصادية كبرى وعاشت وضعا ماساويا اثر على نفسية افرادها . وإذ تلاشت احلام الاب في العودة الى الوطن , انتقل من قرية الغازية في جنوب لبنان الى منطقة جبلية في سوريا , ومنها الى دمشق حيث اضطر الاب الى ممارسة اعمال وضيعة لا تليق بمن كان محاميا قبلا. وساهم اطفاله في تحمل المسؤولية الاقتصادية فمارسوا اعمالا وضيعة كبيع الصحف وما شابه .

لقد كان للطفولة القاسية التي عاشها الكاتب يد في بلورة شخصيته , فقد اصبح معيلا في سن كان من الواجب فيه ان يكون معالا , فنما بذلك احساسه بالمسؤولية, الامرالذي واكبه في مسيرة حياته كلها.

بمرور الزمن تتغلب العائلة على معاناتها الاقتصادية فيتاح للفتى غسان فرصة اتمام تعليمه ويحرز خطوة ناجحة في طريق الحياة بنيله شهادة الكفاءة "البروفيه"وهو في سن السادسة عشرة, فخولته هذه الشهادة العمل كمدرس في مدارس وكالة غوث اللاجئين الدولية "الانروا" . وقد سعى من خلال عمله هذا الى بث الروح الوطنية في نفوس طلابه (تذكر زوجته ان سبعين بالمئة من طلابه امسوا فيما بعد فدائيين) .

في هذه الفترة المبكرة من حياته بدأ كتابة القصة القصيرة . ويعلمنا كنفاني ان ميوله الاولية واهتماماته المبكرة كانت ذات طابع ادبي, يقول : "ان حياتي السياسية نتجت عن كوني روائيا وليس العكس . لقد حاولت كتابة قصة شعبي الفلسطيني قبل ان تتبلور امامي الرؤية السياسية , ولقد رايت ان هنالك شيئا ينقصني اذا لم انخرط في الحياة السياسية وانني اتضاءل كثيرا لو لم اكن روائيا في نفس الوقت"

لقد كانت مجلة "الرأي"الاسبوعية الناطقة بلسان "حركة القوميين العرب" اول مجال ادبي خاضه كنفاني وقد شجع محررها انذاك ـ هاني الهندي ـ ذلك الشاب الوطني على الكتابة مما اطلق موهبته الخصبة فنشر في اقل من سنة ونصف ثماني عشرة قصة .

ان الجماعة السياسية التي انضم اليها الكاتب عام ١٩٥٥ لم تكن حزبا بقدر ما كانت حركة شاملة برزت بعد انهزام الجيوش العربية في فلسطين ونادت باعادة بناء المجتمع العربي . ويرى بعض الباحثين ان الطبيب الفلسطيني جورج حبش هو الذي رشح الشاب كنفاني الى الحركة , وقد كان لهذا الطبيب تأثير كبير على حياته لا يوازيه الا التاثير الذي احدثته زوجته فيما بعد

لم يتم كنفاني دراسته الجامعية بل التحق باخته للعمل في الكويت للمساهمة في اعالة الاسرة , الا انه استمر في ممارسة نشاطه السياسي , كما انه امضى معظم وقته يقرا ويكتب ويرسم . ويمكن للباحث ان يلاحظ تأثير هذه السنوات في مجراه الادبي , فمن قصة "موت سرير رقم ١٢" الى" لؤلؤ في الطريق" الى "علبة زجاج واحدة"صور لماس تعرض لها الوافدون , قصص تصور العطش الجنسي والعقلي والعاطفي الذي كان يعانيه هؤلاء الذين اضطرتهم ظروفهم الاقتصادية الى هكذا معاناة

في بداية سنة ١٩٦٠ طلب منه الطبيب الفلسطيني جورج حبش الحضور الى بيروت للمساهمة في تحرير مجلة الحرية , وقد نصحه اصدقاؤه اللا يفعل كونه بحاجة الى المردود المادي الذي تؤمنه له الوظيفة, فهو مريض بداء السكر ومرضه يتطلب نفقات علاج باهظة, ومع ذلك لبى نداء الواجب وودع مهنة التعليم وبدا يعمل في الصحافة ومن على صفحات مجلة الحرية وقف مدافعا عن القصة القصيرة والرواية والمسرحية من جهة وعن معتقداته القومية من جهة ثانية .

في هذه الفترة من حياته تعرف على معلمة دانماركية يسارية الميول , تدعى "آني هوفر"وتزوج منها في التاسع من تشرين الثاني عام ١٩٦١ .

تروي آني هوفر طريقة زواجها من غسان فتقول: في ايلول ١٩٦١ جئت الى لبنان لدراسة القضية الفلسطينية على ارض الواقع , وفي بيروت قابلت غسان كنفاني المحرر في مجلة الحرية . . . منذ لقائي الاول معه احسست انه مختلف , وتطورت علاقتنا من علاقة عمل الى علاقة شخصية . وبالرغم من الوضع الصعب الذي كان يعانيه غسان (لا جواز سفر, لا إذن عمل, لا وضع مادي مستقر , زد على ذلك مرضه المزمن السكري) فقد تأكد

لنا ان لاشيء يستطيع ان يفصل بيننا الا الموت. وهكذا تزوجنا بعد مضي شهرين من قدومي الى لبنان .

في ٢٤ آب ٦٢ رزق بابنه البكر فايز . وقد عبر عن فعل ذلك الحدث في نفسه فكتب يقول: عندما هنأتني الممرضة شعرت به يهبط فوق كتفي , وسقطت بما يشبه الدوار لبضع لحظات . وفي زحمة الانفعالات الصاخبة شعرت بنفسي مشدودا بقوة الى الارض التي اقف عليها . فكأن ثقله الملقى على عاتقي غرزني عميقا في الارض . . . انها انسانيتي فقط, كواحد من الملايين الذين لا يعرفون ما يخبئه لهم المستقبل . . . عدت الى عالمي الخاص . . . عالم الحب الحقيقي, حب مجرد لا مقايضة فيه . الحب الذي يعطي الحياة معناها النبيل والذي لا تكتمل انسانية الانسان الا بوجوده .

بعد اربع سنوات على ولادة فايز رزق الكاتب بابنة اسماها ليلى , وقد وجد كنفاني في هذا الجو العائلي الاستقرار والاتزان النفسي والتعويض عن الخسارات السابقة ـ إذا كان التعويض ممكنا ـ

وتتكلم زوجته عن حياتهما العائلية فتقول : كانت لدينا مشاكلنا كأي فلسطينيين آخرين : مشاكل اقتصادية وغيرها , فمثلا في كانون الثاني من عام ١٩٦٢ اضطر غسان ان يلازم البيت مدة شهر كامل لانه لا يملك اوراقا ثبوتية . خلال هذه الفترة كتب قصة "رجال في الشمس" وقد املاها علي . لقد ترجم لي كل قصصه ورواياته فاصبحت اهتم بكتاباته السياسية الى جانب الادبية منها . وتضيف : لقد كان دائما مشغولا بالكتابة وكأنه على موعد من الموت . لقد تأثرت تأثرا كبيرا بغسان ولو انه من جانبه لم يكن ليملي عليّ او على اصدقائه اراءه , ولكني كنت احس بمدى تغلغل قضية فلسطين في دمه , وقد استطاع ان ينقل ايمانه بقضيته الىبعض اصدقائنا الاجانب الذين اصبحوا فيمابعد دعاة لهذه القضية . . . ثم تصف علاقتهما فتقول : كان زواجنا مبنيا على الثقة والاحترام والحب الذي استمر رائعا , جميلا وقوياعلى الدوام . إن علاقتي بعائلة غسان كانت حميمة منذ البداية فقد رحبوا بي بحرارة وبدأت احبهم .

كما عرف عن غسان حبه لولديه فهو رغم انشغاله الدائم ومحدودية فراغاته فقد قام بواجب الابوة نحوهما . يقول ابنه غسان : كان والدي يصحبني معه الى مكتبه في جريدة المحرر , ويجلسني على كرسيه الخاص , ويطلب مني ان ارسم بعض الصور , لقد صحبني الى مكتبه في جريدة الانوار ثم صحبني واختي ليلى الى مكتبه في مجلة الهدف , وهناك قابلت الكثير من رفاقه . . . كان والدي رجلا طيبا , وقد اشترى لي كل ما كنت احتاجه , وانا ما زلت احبه رغم انه مات . . . لقد ساعدني في التغلب على كثير من الصعوبات وعلمني اللغة العربية وبذلك صرت قادرا على قراءة كتاباته وفهمها . . . لقد كنت افتقده عندما ابتعد عنه لانه كان لطيفا جدا معي , وقد علمني استعمال السلاح , وشاهد معي البرامج التلفيزونية التي احبها , كما كنا في بعض الاحيان نعمل معا في الحديقة , وعندما يشتد الحر كنا نخلع قمصاننا. . . عندماأكبر أود ان أصبح مثل ابي وساقاتل لنعود الى فلسطين ارض اجدادي, الارض التي كلمنا عنها هو وام سعد كثيرا .

إن هذا الجو العائلي الحميم لم يله غسان عن القيام بواجبه الوطني او الانساني , بل دفعه الى المزيد من الكتابة سواء كان ذلك في الادب او السياسة , فكان ان عين رئيس تحرير جريدة "المحرر" سنة ١٩٦٣ التي كانت لسان حال الحركة الناصرية في لبنان , والمحرر في حينه من اوسع الجرائد انتشارا في لبنان وفي بعض الدول العربية ايضا. وهكذا انتقل غسان من محرر ادبي في مجلة عقائدية الى صحفي بارز على اتصال بالجماهير الناصرية في بيروت . وقد حقق له عمله هذا مواكبة المد العروبي الذي كانت تزخر به البلاد في تلك الفترة من حياة العرب . من حرب الجزائر الى حرب اليمن الى انكفاء الانفصاليين في سوريا والعراق , الى طرد الانكليز من الخليج , كلها استحقاقات سياسية رفدت الشاب بمزيد من الحماس والايمان بقضيته .

وعلى صعيد شخصي افاده مركزه هذا في الحصول على الجنسية اللبنانية .

بعد حرب حزيران ولاسباب اقتصادية, اقفلت الجريدة فانتقل غسان للعمل في جريدة الانوار وبقي فيها حتى اسست الجبهة الشعبية مجلة الهدف . يروي الدكتور جورج حبش سعي كنفاني لاصدار المجلة بقوله " أتذكر

جيدا عندما جاء الى مخيم الوحدات والى الاغوار يحمل مشروعا بضرورة اصدار مجلة اسبوعية تنطق باسم الجبهة الشعبية وتعبر عن فكرها السياسي وعن طموحاتها الوطنية . وفي هذا الصدد لا يسعني الا ان اسجل ان الفضل الاول في اصدار مجلة الهدف يعود الىغسان . واكاد اتخيله الان وهو يلح انه لن يغادر الا ومعه قرارا باصدار الهدف , وفعلا صدر القرار رغم ظروفنا المالية الصعبة آنذاك . . . واستمر كنفاني في مجلة الهدف حتى لحظة استشهاده في الثامن من تموز عام١٩٧٢

من المحطات المهمة في حياة كنفاني زيارته للصين والهند (١٩٦٥) وقد كان لهذه الرحلة اثر كبير في حياته فقد لوحظ ان طروحاته بدأت تتخذ الصبغة الفلسطينية في حين كان توجهه من قبل عروبيا. ومن الصينيين تعلم اشياء كثيرة , تعلم اهمية الصبر في العمل السياسي , وآمن بالمثل الصيني القائل : إن حركات التحرر ليست الات تجمع , انها ذرات من الثلج تتكاثر وتتجمع لتصبح جبالا من الجليد تسير في ايام الربيع وتنظف كل المعوقات دون مساعدة من احد . كما تعلم مسالة الاعتماد على النفس , وضرورة الكفاح المسلح في عملية التحرير .

لقد كانت الفترة الواقعة ما بين ١٩٦٦ و١٩٧٠ بداية انتشار الثورة , وكل عمل كتبه كنفاني في هذه الفترة كان تعبيرا تاريخيا وعاطفيا عن السنة التي ظهر فيها , فكأن، غسان كان يخاف ان تفلت منه اللحظة قبل ان يدونها وقد حاول في جميع كتاباته لجم الانجراف العاطفي باحياء دور العقل في حركة المقاومة , ولكنه قضى قبل ان يكمل مسيرته في مختلف جوانبها العقلية والعاطفية والانسانية . لقد اغتيل وهو في قمة عطائه الادبي والانساني .

وتروي زوجته قصة استشهاده بعبارات مؤثرة فتقول : لقد كان من عادته ان يصحبني كل نهار سبت للتسوق , إلا انه في ذلك النهار اصطحب ابنة اخته لميس , وبعد دقيقتين من نزولهما سمعنا صوت انفجار عنيف . . . ركضت لاجد بقايا سيارتنا الصغيرة محطمة. لقد كانت لميس على بضعة امتار من مكان الحادث, ولكن غسان لم يكن موجودا , وقد املت ان اجده جريحا ولكنني وجدت رجله اليسرى فقط , فصعقت . . . بينما ضرب ابننا فايز راسه بالحائط واخذت الصغيرة ليلى تصرخ بابا . . . بابا . . .

لملمت اشلاؤه وشيعته الجماهير البيروتية بمظاهرة لم تشهد بيروت مثلها منذ وفاة عبد الناصر . ودفن في مقابر الشهداء الى جانب ابنة اخته لميس التي احبته وقضت معه.

حصل الاعتداء على غسان كنفاني في الثامن من تموز الموافق صباح السبت عام ١٩٧٢ وادعت اسرائيل ان العملية رد على عملية مطار اللد , رغم انه لم يكن اكثر مسؤولية من غيره في الجبهة الشعبية . ولكن , لماذا بالديناميت . لقد كان كالجبل والجبل لا يدمر الا بالديناميت . . . هذا ما علقت به احدى الصحف البيروتية على عملية الاغتيال .

£K¦IvB•}

أن الارث الذي ورثه كنفاني , بيئة جغرافية ساحلية منفتحة على حضارة عريقة متعددة الجوانب , وحياة عائلية متماسكة , يجعلنا نتوقع شخصية رقيقة عاطفية متزنة . فكيف يمكن ان نفسر ما تقوله نظريات علم النفس مع ما عرف عن الكاتب من انه كان يدعو الى ما يسميه "العالم المتمدن" الارهاب ؟

لقد اجاب كنفاني نفسه عن هذا التناقض الظاهري في رده على سؤال طرحه عليه احد المراسلين الغربيين قبيل استشهاده : ما يعنيه لك الموت فاجاب: طبعا الموت يعني لي الكثير , فالشيء المهم هو ان تعرف لماذا تموت . فالتضحية بالنفس المقارن للعمل الثوري هو تعبير عن فهم عميق للحياة . والكفاح ضروري لاعطاء الوجود الانساني قيمته التي يستحقها. إن حب الانسان للحياة يصبح جزءا من حبه لحياة شعبه ومن رفضه ان تستمر حياتهم مليئة بالمآسي والصعوبات . من هنا يصبح حبه للحياة فضيلة اجتماعية لحياة

قومه. وهذه هي ذروة التعبير عن مدى تعلق الانسان بالحياة .
ولعل في تلك الامور الصغيرة التي يرويها عنه اقاربه وزوجته ما يكشف عما في شخص الكاتب من اتزان نفسي يتجلى محبة وعطاء لكل من احاط به من اقارب واصدقاء

تروي زوجته انه كان يحب الازهار ويعتني بالحديقة التي كانت مصدر اعتزازه . وانه كان ابا محبا يقضي ايام الاحاد برفقة ولديه وزوجته يلاعب الاولاد والقطط
ومن ذكرياتها معه ما يبين تماسكه في وجه الصعاب تقول: عندما توفيت والدته لم يبك اثناء الجنازة , بل حاول تعزية كافة افراد العائلة, ولكنه اثناء عودتنا الى بيروت انفجر غسان باكيا . وكانت المرة الاولى التي ارى الدموع في عينيه, بل اني شهدتها مرة سابقة عندما اعلن عبد الناصر استقالته بعد نكسة حزيران وضياع الامل ـ امل التحرير ـ عند معظم الناس

وهو في مختلف مراحل حياته ابدى جرأة واقداما وحس مسؤولية . فمنذ كان طفلا تحمل عبء المساهمة في اعالة اسرته . وعندما دعاه الواجب الوطني الى بيروت لم يتلكأ, بل ضحى بالمردود المادي الذي كانت تؤمنه له الوظيفة في الكويت في سبيل العمل لخدمة قضيته

وهو ذو كبرياء وطني بارز, تروي زوجته : لقد اتيت الى لبنان للتعرف على فلسطين , وعندما طلبت من غسان ان ياخذني الى المخيم , اجابني بلهجة حادة وعصبية : أوتظنين ان شعبي حيوانات في سيرك يعرض على المتفرجين ! ! . . . لكنه ما لبث ان استرد هدوءه بعد لظات وبدأ يشرح لي قضية شعبه وبلاده

كما ان لعلاقته بابنة اخته لميس دليلا على ما في شخصه من نزعة انسانية مرهفة . لقد كان يوجه لها في كل سنة لمناسبة عيد ميلادها رسالة خاصة بها مع بعض الرسوم يعبر فيها عن عاطفة عميقة تجاهها بل تجاه جيلها باكمله . كتب اليها في احدى المرات يقول: " . . . وعندما اعطيك أملي , عندما اجعله وقفا عليك وعليه , فمعنى ذلك انني أعطيك حياتي نفسها , ومعنى ذلك انني اعطيك نفسي , يا نفسي , ولا اعتقد ان هنالك أغلى من نفس الانسان على نفسه كي يقدمه الى من يحب ويأمل

ولعل في موقفه من العمل الفدائي ما يلقي الضوء على جانب مهم في شخصه

لقد عارض كنفاني انطلاقة الكفاح المسلح في الظروف التي انطلقت فيها , واعتبر ان كل نقطة دم تهرق في ذلك الحين هي انتحار رخيص لا يؤدي الى نتيجة . وقد سجلت له قيادة منظمة التحرير هذا الموقف ورفضت تسميته في المجلس الوطني الفلسطيني لاعتبارها إياه معارضا للكفاح المسلح فاحترم راي الجماعة ولم يعترض .

وهكذا تتلخص حياة كنفاني بانها كانت عملا مستمرا . فهو رئيس تحرير جريدة يومية وكاتب قصة قصيرة ومشارك في الاجتماعات السرية للمقاومة وخطيب في الاجتماعات العامة وكاتب دراسات ادبية , كما كان رساما ومصمما الى جانب كونه رب اسرة وفيا لمسؤولياتها. . . لقد فسرت زوجته سر هذه الخصوبة في انتاجه بقولها : أن قدرته على الكتابة كانت غير محدودة , وكأني به نبع من الافكار والمعاني حاضرة ابدا في ذهنه لتملا مئات الصفحات عن بلاده وشعبه . لقد كان دائما مشغولا بالكتابة وكأنه على موعد مع الموت .

وقد لخص صديقه الباحث فضل النقيب تميّزه بقوله: "كان أول من ترك دمشق الى الكويت وعمل مدرسا هناك , كان اول من ترك الكويت وحضر الى بيروت ليشارك في تحرير مجلة الحرية . . . كان اول من ترك عمله العادي الناجح ليلتحق بالمقاومة , فلقد كان الكاتب الوحيد الذي يعرف ان المسألة مسألة وقت لا غير . كذلك تبدا القصص وكذلك تنتهي"

هذه الحياة الشاقة التي خبرها الكاتب تركت بصماتها على ادبه . فهو ان حّمل شخصيات رواياته وقصصه مشاعر الخيبة والمرارة والعبثية , فإن مرد ذلك الى ما اصابه من صدمة نفسية أثر نكبة عام ٤٨ التي ادت الى انتقاله من حياة برجوازية مترفة الى اخرى تقف عند حدود المجاعة , والاعمال الوضيعة التي اضطر

الى ممارستها وهو ابن محام سابق ذو كبرياء , جعلت منه ذلك الشكاك القلق المتوتر. كما انها ارهفت حسه, فاحس معاناة المعوزين بعمق وترجمها على هيئة طفولة معذبة او عامل مضطهد او مغترب تعس يلقى حتفه وهو في طريق بحثه عن الغنى والثروة في دنيا الاغتراب . وإذ ان الصعوبات يختلف تاثيرها من شخص لاخر فقد ادى الامر بكنفاني الى الثورة والتمرد ورفض كل اشكال الرضوخ والتخاذل . لذا ادان في ادبه كل الشخصيات المتخاذلة وكل المواقف غير المسؤولة , فلم يشفع لشخصياته حسن نواياها او طيب مقصدها . إلا ان هذا لا يعني ان الكاتب كان عنيفا قاسيا , بل ان قساوة الحياة ارهفت مشاعره وجعلته يتالم لالام الاخرين ويتحسس مآسيهم . فقد احس مشاعر الام المفجوعة بفقد وليدها في رواية "عائد الى حيفا"وصور ماساتها بكل ما يمكن ان تمور به نفس تلك الام . وصور مشاعر المراة المرذولة المهانة في شخصية مريم في رواية ما تبقى لكم فاجاد . وهو ان بدا عبثيا وجوديا حين ترك شداد في مسرحية الباب يقف مهزوما امام الاله هبا رغم شجاعته وباسه واقدامه , فإنما ذلك عائد الى ما لقيه هو وشعبه عامة من احباط وعقم محاولات حتى زمن كتابة المسرحية

وإذ يصلب عود الفتى الثائر المهان ويتغلب على معاناته تتغير حركة ابطاله فتطل ام "سعد"بوجهها المتفائل و"سعاد وقاد" بحيويتها ونشاطها وفعلها الدائم في رواية برقوق نيسان كما اطل قبلها حامد في رواية ما تبقى لكم يواجه العدو ويتحداه فتعكس هذه الشخصيات واقع الكاتب الجديد المشرق الذي اثاره المسار الجديد للقضية الفلسطينية بانطلاقها الى الكفاح المسلح"١"

هوامش:

(١) ـ المعلومات والحقائق التاريخية الواردة في المقالة مستقاة من الكتب التالية

(1) - George Hajjar, Kanafani, Symbol of Palestine , publihshed by George Haggar, Bekaa lebanon : 1974

(2)- Anni Kanafani,Ghassan Kanafani, publihshed by Palestenian Research Center, (with the permission of NEEBII), Beirut, Lebanon : 1973 .

(3) - Wild Stefan,Ghassan Kanafani, The life of a Palestenian, Otto, Harrosswe'tz, Weisbaden , 1975

(٤) ـ فضل النقيب , هكذا تنتهي القصص هكذا تبدأ , مؤسسة الابحاث العربية, بيروت : ١٩٨٣